الشبيبة المدرسيّة

الملابسات السياسيّة التي نهدت لبعث الشبيبة المدرسيّة

من الصعب تحديد تاريخ مضبوط لتعيين موعد لتاريخ الحركة الوطنيّة في تونس بعيد انتصاب الحماية الفرنسيّة إذ أنّ المقاومة لنظام الحماية انطلقت تقريبا مع دخول القوات الأجنبيّة لبلادنا. وكانت متفاوتة من حيث الحدة والعنف ولعل أبرزها التي شنها وقادها زعماء الجهات. فمدينة صفاقس مثلا ثارت بقيادة محمد كمون ومحمد الشريف وساعدها علي بن خليفة ودعمها بفرسان نفات ووصلتها نجدة من عروش جلاص وأخرى من أولاد عزيز وهمامة.

وثارت قبائل الهمامة بجهة قفصة بزعامة أحمد بن يوسف وتحركت قبائل الفراشيش بجهة القصرين بقيادة الحاج حراث. وثارت أولاد عيّار بالكاف بزعامة على بن عمّار.

ولم تبق مدينة أو قرية إلا وانبرت للإسهام في حركة المقاومة أو لإعانة المقاومين وكانت ثورة الشعب تلقائيّة تتجانس وطبعة النضالي الذي جبل عليه منذ القدم لكنّه كان يفتقر إلى قيادة جريئة حازمة لها الكفاءة والمقدرة على جمع شتاته وتوحيد صفوفه والقدرة على التحليل وضبط الخطط واتخاذ القرارات واستنباط كل ما من شأنه أن يوفر للطاقات المناضلة قوة الدفع والمثابرة.

ولئن توصل المستعمر إلى ضرب هذه الحركات والقضاء عليها لم يفلح في القضاء نهائيّا على روح النضال التي وإن ظلت خامدة فإنّها كانت تتحيّن الفرص للتعبير عن سخطها وغضبها وعدم استكانتها للاستعمار.

وبعيدا عن مسرح الأحداث كانت هناك نخبة تتحسس طريقها في تحليل الوضع السائد في البلاد للخروج بها من الحالة التعيسة التي كانت تحياها وانتشال الشعب من المهانة وصيانة الشخصيّة التونسيّة العربيّة الإسلاميّة وتخليصها من أسباب الذوبان والمسخ.

ولعل أبرز هذه النخبة هي جماعة جريدة الحاضرة الذين عبروا عن معارضتهم لنظام الحماية بواسطة المقالات ودافعوا عن الشخصيّة التونسيّة ونددوا بسياسة الاندماج وتدخل الدولة الحامية في الشؤون الداخليّة للبلاد، ويسجل لنا التاريخ غي هذه المرحلة اسم شخصيتين لامعتين هما الشيخ محمد السنوسي والأستاذ البشير صفر.

وقد تعاون الجميع على تأسيس جمعيّة الخلدونيّة سنة 1895 التي أسندت رئاستها للأستاذ البشير صفر فجعل منها مركز إشعاع للثقافة العصريّة إذ حملت لواء التجديد الفكري وأثرت في الشباب المدرسي التونسي تأثيرا كبيرا الذي برز في صفوفه آنذاك علي باش حانبه وأخوه محمد باش حانبه. وبالرغم من أن طابع الجمعيّة كان طابعا ثقافيّا بحتا فقد كان لنشاطها أثر فعال في إيقاظ الضمير الوطني.

وقد تعزز دور الخلدونيّة ببعث جمعيّة قدماء الصّادقيّة سنة 1905 على أيدي مثقفين لم يرتبطوا بالوظائف بل اشتغلوا بالمهن الحرة مثل عبد

الجليل الزاوش وأحمد الغطّاس وأحمد القلاتي وعلي باش حانبه (مؤسس جريدة التونسي سنة 1907) من المحامين، وحسن بوحاجب وأحمد الشريف من الأطباء، وخير الله بن مصطفى، المترجم العدلي. وكانت ثقافتهم الفرنسيّة العليا وانتسابهم إلى الجامعة الفرنسيّة يجلب لهم إكبار الكتاب والمفكرين من الفرنسيين وعدم انتمائهم للوظيف جعلهم في مأمن من كلّ مضايقة إداريّة مهما كان نوعها.

وقد ابتدأت الجمعيّة عملها في أوائل سنة 1906 على أساس تقرير حرره علي باش حانبه وأسندت رئاستها إلى الأستاذ خير الله بن مصطفى. وقد بدأت جمعيّة قدماء الصّادقيّة في أول أمرها ذات صبغة ثقافيّة غربيّة فازورعنها أهل الثقافة العربيّة من خرّجي جامع الزيتونة والخلدونيّة وتلامذتها. إلاّ أن رئيس الجمعيّة، الأستاذ خير الله بن مصطفى، الذي كان متقدما في السنّ على بقية رفاقه ومتغذيّا بتربية وثقافة واسعتين عمل على جمع الشمل وسعى لحمل رفاقه على فتح باب المسامرات باللغة العربيّة في ناديهم ولم تكن المحاضرات معروفة أصلا بتونس يومئذ فكان مع إلقاء المحاضرات الفرنسيّة بنادي قدماء الصّادقيّة يفكر في مواضيع يمكن أن يحاضر فيها أساتذة اللغة العربيّة ورجال التفكير الإسلامي من شيوخ الزيتونة. وقد تيسر له ذنك فألقى الشيخ الطاهر ابن عاشور أول محاضرة عربيّة في تونس وكان موضوعها "أصول التقدم والمدنيّة في الإسلام" والشيخ محمد الخضر حسين محاضرة موضوعها "الحرية في الإسلام" والشيخ محمد النخلي محاضرة عنوانها "دولة المأمون" . وشاركت الخلدونيّة شقيقتها الصغرى

ففتحت هي أيضا با المحاضـرات. وكـان مـن محاضـريها الشـيخ محمـد الخضر حسين الذي ألقى محاضرة عن حياة اللغة العربيّة وكان من أثر هذه المحاضرات أن فتح باب جديد للإنتاج الأدبي ودخل الزيتونيون إلى نادي قدماء الصّادقيّة فرجع العنصران إلى الامتزاج بعد أن سـارا برهـة في طريق الافتراق وحركـة دعـاة التطـوّر المتطرفيـن إلـى أن غـايتهم يمكن تحقيقها باللغة العربيّة وفي ظل ثقافتها. فتقومة حركة مؤسسي قـدماء الصّـادقيّة. كمـا كـان للمعاملـة الاسـتعماريّة دور هـام فـي رد الشبيبة المدرسيّة إلى خضيرتها الوطنيّة وجعلها تشعر بمسـؤوليتها نحـو شعبها ووطنها.

وقد أدرك الشباب أن التعليم هو من الأسـس المعتمـدة لبعـث النهضـة والتطوّر فطالبوا بنشره ولكن هذه الفكـرة وجـدت معارضـة مـن قبـل المعمرين والجالية الفرنسـيّة سـرعان مـا انقلبـت إلـى اسـتنكار وتنديـد واضح وذالك خوفا من أن يزاحـم المثقفـون التونسـيون أبنـاءهم فـي الوظيفة العموميّة التي كانت حبسا عليهم. وقد كان يخشى من التعليـم الصادقي الذي يجمع بين اللغتين، ومن ثمّة كان دور الشباب المدرسـي الصادقي فعالا في النهضـة الفكريّـة والحركـة الوطنيّـة إذ أصـبح يمثـل نقطـة تحـول يمكـن أن يقـترن ميلادهـا بميلاد العمـل الـوطني الثـابت والأصيل، إذ اتضحت الرؤية وبدأ الـوعي الـوطني يشـمل جـل الطبقـات المثقفة.

وإذا كانت الخلدونيّة قد لعبـت دورا هامّـا مـع جمعيّـة قـدماء الصّـادقيّة وكانتا بمثابة المعهد الذي تلقى فيه التوجيهات الوطنيّـة قبـل التوجيهـات

العلميّة فغن منظمة ثالثة – الشبيبة المدرسيّة – انشقت عن قدماء الصّادقيّة لتساهم هي الأخرى بدور فعال في نشر الثقافة والتربية والروح الوطنيّة بين صفوف الشباب المدرسي التي تفرعت عن جمعيّة قدماء الصّادقيّة سنتي 1933- 1934

(الخطوات الأولى للشبيبة المدرسيّة (النهضة المدرسيّ

قبل التحدث عن الشبيبة المدرسيّة التي انطلقت في مراحلها الثانية سنة 1933 لا بد من استعراض جوانب تاريخيّة من هذا النشاط امتدت في الفترة المتراوحة بين سنوات 1929 و 1933 والتي كانت العمل الأوّل الذي مهّد لبعث الشبيبة المدرسيّة في مفهومها العامّ والواسع.

يرجع تنظيم الشبيبة المدرسيّة إلى بداية سنة 1929 في نطاق جمعيّة قدماء الصّادقيّة وذلك لاستحالة النشاط داخل منظمات شبابيّة وتنظيمات جماهريّة مرخص أو غير مرخص فيها من قبل النظام الاستعماري الذي كان يطارد كل من تحوم حوله الشكوك بمساعيه لجمع صفوف الشباب وأفراد الشعب في تنظيم مهما كان نوعه وبذلك يكون الحصول على تأشيرة لبعث منظمة مدرسيّة أو شبابيّة أمرا مستحيلا فجاءت فكرة بعث منظمة مدرسيّة تضمّ التلاميذ في المعاهد الثانويّة من خلال جمعيّة قدماء الصّادقيّة التي كانت تمارس أنشطتها منذ زمن بعيد.

فكانت "النهضة المدرسيّة" وهو الاسم الذي انبعثت به الشبيبة المدرسيّة في سنواتها الأولى كهيكل منبثق عن الجمعيّة الأمّ وهي

جمعيّة قدماء الصّادقيّة لتعتني بالتلاميذ الذين يزاولون تعلمهم بالمدرسة الصادقيّة ولتشمل بعد ذلك جميع التلاميذ وطلبة المعاهد ومدارس التعليم العالي (جامع الزيتونة، مدرسة الترشيح) وقد كانت الفترة التي بدأت فيها فكرة تكوين منظمة تلميذية تتميّز بتلاحق الأحداث التي شهدتها الساحة السياسيّة والاجتماعيّة للبلاد التونسيّة وبداية استفاقة أبناء الشعب.

والمحاولات المتعددة لرفع الكابوس فإنها وإن كانت محاولات فرديّة وظرفيّة ينعدم فيها عنصر التنظيم وتوحيد الصفوف فإنّها تجاوبت مع الأحداث مثل أحداث الزلاج وما انجرّ عنها من اصطدامات بين المواطنين والقوات الاستعماريّة وحادثة "التراموای" ومقاطعة الأهالي له مدة طويلة احتجاجا على حادثة الزلاج إلى الأحداث السياسية الأخرى مثل تنحي الناصر باي عن العرش ثمّ إشاعة تسميم الباي وثورة الأمير عبد الكريم الخطّابي.

جميع كل هذه المستجدات على الساحة الوطنيّة كان تلاميذ مدرسة الصادقيّة يتجاوبون بكل وطنيّة معها، فتنظم مظاهرات احتجاج ضد السلط الاستعماريّة وتقام منابر حوار سريّة يتدارس فيها التلاميذ وضعيّة البلاد والدور الذي يمكن أن تلعبه تحركاتهم وبالمقابل كانت السلط الاستعماريّة تواجه تحركات التلاميذ بالردع والقمع عن طريق Les chasseurs d'Afrique وكان من أهم زعماء هذه التحركات السادة: محي الدين القليبي، الباهي الأدغم، الطيّب سليم، صالح بن يوسف وغيرهم من التلاميذ.

وانطلـق نشـاط الشـبيبة المدرسـيّة فـي54 نـواد فـي العاصـمة أهمهـا النادي الرياضي بباب سويقة، وكان النشاط ينحصـر فـي نشـاط ثقـافي وطني يتمثل أساسا فـي تنميـة روح الوطنيّـة لـدى الشـباب المدرسـي بتلقينه أناشيد وطنيّة وتدريبه على كتابة الشـعر والأناشـيد وكـان نشـاط الشعر والأناشيد يتم بإشراف السيد الشاذلي خزنـدار. ومـن أهـم هـذه الأشعار الـتي اشـتهرت فـي ذلـك الـوقت "بلاد العـرب أوطـاني" كـذلك كانت تنظم خلال شهر رمضان سهرات ثقافيّة كانت تقـدم فيهـا للتلاميـذ أكواب من الروزاطة باللونين الأحمر والأبيض رمزا للعلم التونسـي. أمّـا الاجتماعات التي كانت تعقدها الإطارات المؤسسة للمنظمة فقـد كـانت تلتئم في أماكن مختلفة أهمهـا دكـان الحلاق صـالح عزيـز الـذي يوجـد بالحلفـاوين أو منـزل أبنـاء الشـابي ببـاب سـعدون وأحيانـا بالمسـاجد، وخاصة بجامع صاحب الطابع بالحلفاوين.

وخلال سنة 1930 راجـت إشـاعة فـي البلاد اختيـار البلاد التونسـيّة كمقـر لانعقاد المـؤتمر الأفخاريسـتي بغايـة النظـر فـي قضـايا عقائديّـة تهـم الديانة المسيحيّة. وقد كان الاختيار لتونس كمقـر لانعقـاد هـذا المـؤتمر دلالة واضحة على عمل السلط الاستعماريّة لتوطيـد المسـحيّة بتـونس، وقد كان من هذه الممارسات تصدير زرابي تونسيّة تحمل صورا تنتمـي للمسحيّة، كذلك بعث مدارس (للباباصات) أي المبشـرين وحـث الفتيـات التونسيّات على تلقي تعليمهنّ فيها، زد علـى ذلـك تـدخل الكنيسـة فـي الشؤون السياسية والشؤون العامّة مثل التدخل لحسم مخلفات حوادث مدينة صفاقس وطاب العفو لأعيان مدينة صفاقس الذين حكـم عليهـم

القائد العسكري بالمدينة بالإعدام لرفض الأهالي دفع ضريبة الحرب وإعطائهم الأمان من قبل الكنيسة بصفاقس. كانت كل هذه المؤشرات تدعو للتأكيد على انتماء الأراضي التونسيّة للدين المسحي الذي سالت عليه دماء المسحيين خلال حملة لويس التاسع لنشر هذا الدين بالأراضي التونسيّة، فكان انعقاد المؤتمر بها مؤشرا لوصولهم للهدف الذي رسمته الحملة الصليبيّة.

وفي نفس الوقت كان لاحتكاك لآباء البيض مع الأهالي لغاية تشكيكهم في المبادئ الإسلاميّة ما أثره السيئ في عقول بعض المفكرين التونسيين الذين كانوا يجالسونهم حتّى أنّهم تأثروا بأفكارهم مثل الطاهر الحدّاد الذي أعلن في منشوراته وعلانية أنه لا يمانع في تلقي الفتاة التونسيّة العلم وشتّى الفنون الأخرى بمدارس المبشرين.

وكان أول تحرك منظم قام به التلاميذ في نطاق المنظمة هو الاحتجاج على السلط الاستعماريّة لتركيزها نصبا بباب البحر، ساحة النصر حاليا، يمثل (الكاردينال لافيجوري) وهو يوجه الصليب الذي بيده نحو المدينة العتيقة كإشارة لزحزحة الإسلام وتركيز المسيحيّة في قلوب التونسيين. وكرد على هذا العمل قام بعض الأساتذة الوطنين بترسيخ روح الوطنيّة لدى التلاميذ لمواجهة محاولة السلط الاستعمارية تنصير الشعب التونسي والقضاء على عقيدته الإسلاميّة، وقد أكد آنذاك المفكرون أن اختيار تونس لعقد المؤتمر الأفخاريستي كان محاولة لتفكيك الوحدة الإسلاميّة بين أقطار الأمة العربيّة الإسلاميّة.

وقبل انعقاد المؤتمر الأفخاريستي قدم إلى تونس وفد من التلاميذ من مدرسة الفنون التشكيليّة بباريس فوقع تخصيص جناح بمدرسة الصادقيّة لإقامتهم فاستغلّ مناضلو النهضة المدرسيّة ذلك لإثارة التلاميذ مؤكدين لزملائهم أنّ التلاميذ الذين سيقع إيوائهم بالمدرسة ليسوا سوى مشاركين في المؤتمر الأفخاريستي وبذلك توحدت صفوف التلاميذ وانطلقت أول مظاهر الاضطرابات احتجاجا على تنظيم المؤتمر بتونس ولكن الحزب الدستوري القديم الذي لم يستغلّ هذه المناسبة لتحريك همم التونسيين وتوحيد صفوفهم لتصعيد الموقف فكانت بعض ردود الفعل الشعبيّة عفويّة وتلقائيّة ضدّ تنظيم المؤتمر الأفخاريستي بتونس.

أمّا إطارات الشبيبة المدرسيّة فإنّها واصلت العمل بتنظيم اجتماعات حضرها بالخصوص إضافة إلى المؤسسين عبد العزيز المهيري والهادي الشنوفي وذلك لإعداد لإحياء الذكرى50 لانتصاب الحماية في12 ماي 1931، ووقع التخطيط خلال هذه الاجتماعات للقيام بمظاهرات شاملة وممثلة لجميع المدارس والمعاهد ومدارس التعليم العالي، وقد حضر الاجتماعات ممثلون عن جميع هذه المدارس وتمثلت الخطة في خروج أبناء الصّادقيّة ومدارس جامع الهواء والتوفيقية وطلبة جامع الزيتونة لاقتحام معهد العلويّة في الساعة العاشرة صباحا والالتحام مع تلاميذها(100 تلميذ في ذلك العهد) ثمّ الزحف على معهد كارنو والالتحام مع تلاميذه الذين كان يتزعمهم صالح بن يوسف وهو يمثل الشقّ الأول والسيّد الطيّب سليم يمثل الشقّ الثاني. وقد قام بتخطيط هذه التحركات وضبط مراحلها السيد صالح البحوري، وكان يوم12 ماي

1931 يوم سبت ونجحت الخطة وقامت جموع التلاميـذ بمظـاهرات كـبرى بأهم الشوارع ووقع اعتقال عدد كبير منهم في اليوم المـوالي أي يـوم الأحد، وتواصلت المظاهرات انطلاقا من الصـادقيّة حيـث خـرج التلاميـذ المقيميـن الـذين وقـع احتجـازهم بالمدرسـة وقـاموا بتغييـر ملابـس الدراسة الرسميّة بغرفة صالح البحوري بوكالة نهج الباشـا حتّـى لا يقـع التعرف عليهم. وقد أعد التلاميذ لهذه العمليّة بإحضار كميات كـبيرة مـن ملابسهم وقع جمعها بالغرفة المشار إليها.

كما أن المتظاهرين حملوا اللافتات المعديـة للسـلط الاسـتعماريّة أعـد بعضها التلاميذ بوسائلهم الخاصة وأعد البعض الآخر الحـزب الشـيوعي وقام السيد موسى الرويسي كذلك بتوفير مطبعة حجريّة وكـان يشـغل خطـة قيـم بمدرسـة الترشـيح واسـتخرج التلاميـذ بواسـطتها بعـض المناشير. وقد تواصلت المظاهرات مدة 15 يوما وتميزت بتخـاذل الأوليـاء الذين قام بعضهم بإرغام أبنائهم على العودة إلى المعاهد ورغم ذلـك استمرت الاضطرابات.

وليلة انعقاد المؤتمر الأفخاريستي اجتمع بعض المناضلين على الساحة السياسية وقرروا الإضـراب العـام بـالبلاد احتجاجـا علـى عقـد المـؤتمر بتونس ولكن الإضراب فشـل وتواصـلت فـي نفـس الـوقت مظـاهرات الشباب المدرسي واعتقل العديد منهم، وتمّ تكوين لجنة ممثلة للتلاميـذ والطلبة تتألف من 12 عضـوا يمثلـون جميـع المؤسسـات التربويّـة ضـمانا لاستمرارية المقاومة وانضمّ إليها بعض المفكريـن وقـام أعضـاء هـذه اللجنة بالاتصالات بالمحامين الوطنيين ليتولوا الدفاع عن المعتقلين ومع

بعض أعيان البلاد. وقد كان أول لقاء للسيد الباهي الأدغم مع الزعيم بورقيبة في نهج المرّ إذ طلب منه التدخل للدفاع عن الموقوفين من التلاميذ.

وخلفت هذه الأحداث أيضا عقوبات ضد مجموعة من الشباب الصادقي الذين انحصرت فيهم المبادرة وهم المرحوم خميّس الحجري، والهادي الشنوفي والمرحوم عبد العزيز المهيري، والباهي الأدغم تمثلت في طردهم من المدرسة فاتّصلوا بالدكتور محمود الماطري في مكتبه بنهج باب بنات فما كان منه إلاّ أن تحمّس وحرّك جمعيّة قدماء الصّادقيّة ثم قابل بنفسه مدير العلوم والمعارف الفرنسي الذي نفى كل تدخل في قرار الطرد كما اتصل بمدير الصادقية المستشرق المعروف (ميرا) الذي تبرأ أيضا من العمليّة مدعيّا أنّها ناتجة عن إجماع مجلس الأساتذة.

وقد توصل الدكتور الماطري بعد عناء إلى إرجاع بعض المطرودين كخميّس الحجري والباهي الأدغم. وتوطدت العلاقة بين هؤلاء الشباب وبين الدكتور الماطري إلى أن تكرر الشغب بمناسبة الذكرى الخمسين لانتصاب الحماية سنة 1931، إذ انتشر النضال فشمل تلاميذ المدرسة الفلاحيّة بسمنجة فتدخلت الجندرمة الفرنسيّة وألقت القبض على المحركين من الطلاب ومن بينهم الحبيب المولهي وصلاح الدين عبد الله . واتصل الدكتور محمود الماطري بالمدير العام للفلاحة والاستعمار كما كانت تسمّى آنذاك فتراجعت الإدارة في قرار الطرد.

وفي هذه الفترة قام السيد الهادي نويرة الذي كان وقتها عضوا بشعبة سوسة بجمع بعض المال عن طريق التبرعات أرسله غلى الشبيبة المدرسيّة. وعيّن السيّد البشير المهذبي أول أمين مال لها وقامت اللجنة بالتعاون مع موظفين سامين بالحكومة بمسعى أفضى إلى أتمام محاكمة استعجاليه للموقفين من التلاميذ تمت بتسليط أحكام مؤجلة التنفيذ عليهم.

وكان من أبرز الموظفين الذين لعبوا دورا كبيرا في مؤازرة الشباب المدرسي السادة: علي البلهوان، صلاح الدين بوشوشة، محمد المحيرصي (صيدلي بحمام الأنف). وكان من بين المعتقلين محمد بن عبد القادر، الدكتور الطاهر ابن عز الدين، البشير الشابي، الطيّب سليم، عبد المجيد الشابي، صالح بن يوسف.

وإثر ذلك مباشرة أقرت شرعيّة النضال المدرسي ووقع انتخاب أول هيئة للنهضة المدرسيّة بعد اجتماعات متتالية للجنة بدار الشابي بنهج سوقي بلخير وتمّ الاجتماع التأسيسي الأول بمنزل السيد إسماعيل عزيز في23 أفريل1932 وحضر الاجتماع عدد كبير من التلاميذ وإطارات قدماء الصادقيّة وكان من بين الحاضرين البشير ياسين الذي قدّم إثر ذلك تقريرا للسلط حول بعث المنظمة وأهدافها والأشخاص العاملين بها. (هذا التقرير يوجد منه نسخة لدى السيّد الباهي الأدغم).

وكان أول رئيس للمنظمة السيّد محمد بن عبد القادر وأول كاتب عام لها السيد الباهي الأدغم وبمثل الحزب الشيوعي فيها السيد الحبيب

مبارك إلى جانب إطارات أخرى تلميذية من المعاهد والمدارس الثانويّة ومـدارس التعليـم العـالي الأخـرى. وقـد بـارك السـيّد المنجـي سـليم والدكتور أحمد بن ميلاد انبعـاث المنظمـة عـن طريـق برقيـة أرسـلاها باسم جمعيّة طلبة شمال إفريقيـا الـتي كـانت تعمـل مـن أجـل وحـدة الكفاح في المغـرب العربـي الكـبير وكـذالك عـن طريـق برقيّـة أخـرى وجهها الطالب عز الدين بن عثمان أصيل مدينة صفاقس والـذي سـافر إلى سوريا للدراسة والتعريف بالقضيّة التونسيّة في الأوسـاط الطلابيّـة بالمشرق. وكانت أنشطة منظمة الشـبيبة المدرسـيّة تتمثـل أساسـا فـي رحلات دراسيّة ولقاءات وندوات ومنابر حـوار جلهـا كـانت فـي الظـاهر ثقافيّة ولكن كانت تدعو إلى تحريك الهمم والسواكن من أجل التحريـك الوطني الثوري.

وفي تلك الفترة كان مصطفى الكعاك رئيسا لجمعيّة قـدماء الصـادقيّة والسيد محمد بوريشة أحد أعضائها وقد نظمـت الشـبيبة المدرسـيّة أول رحلات إلى كل من قربص وزغوان وعين دراهم وطبرقة ومجاز البـاب وكانت الهيئة المسيرة تحرص علـى تمثيـل جميـع التلاميـذ فـي مختلـف المعاهـد والمؤسسـات التربويّـة لربـط عـرى الصـداقة والوحـدة بينهـم وتوحيد صفوفهم، وكـانت تجـري انتخابـات سـنويّة لاختيـار هيئة جديـدة وينص القانون الأساسي على أن العضويّة لا تكون إلاّ لسنة واحدة.

ومن الذين تولوا الكتابة العامة للجمعيّة فـي السـنوات الأولـى السـادة: الصادق المقدّم، محمد علي العنابي، ومحمد الأصـرم ويخصـص جـزء من مداخيل المنظمة إلى جمعيّة طلبة شمال إفريقيـا لمسـاعدتها علـى

القيام بنشاطها. وعلى اتجاهها واثر تولي السيد محمد بورقيبة رئاسة جمعيّة قدماء الصّادقيّة وقع تصحيح مسار منظمة النهضة المدرسيّة وتغير اسمها بالشبيبة المدرسيّة.

الشبيبة المدرسيّة في مرحلتها الحاسمة الثانية

تأثرت إذا الشبيبة المدرسيّة بالمستجدات على الساحة الوطنيّة وانطلقت باختيارات جديدة وبعمل ذي جدوى ونفع على المستويين النقابي والنضالي وعملت على ربط الاتصال بين كافة أفراد الشباب المدرسي التونسي المثقف.

وهكذا تمّ بعثها من جديد وجعلت فرعا كشأنها في المنطلق الأول لجمعيّة قدماء الصّادقيّة وذلك في شهر أفريل 1932 فشكل في ذلك الحين مجلس وقتي ثمّ تمّ انتخاب هيئة الشبيبة الأولى في جوان من السنة نفسها (1932). فقام بتطبيق قانون الشبيبة خير قيام. وأهم أهداف الشبيبة المدرسيّة هي تكوين الوحدة الفكريّة بين الشبان المدرسيين وربط صلة التعارف بين كلفة أفراد الشباب التونسي وهو الذي كان مفقودا قبل إنشاء هذه الجمعيّة المباركة ونشر اللغة والآداب العربية بين كافة أفراد الشباب لذلك كان قانون الشبيبة المدرسيّة يقتضي إلقاء مسامرات (محاضرات) والقيام برحلات وتأسيس مكتبة عربيّة للشبيبة المدرسيّة وطبع نشرة سنويّة. كما سعت إلى تربية وتنمية الإحساس الفنّي في نفوس الشبيبة بإقرار احتفال سنوي أطلق عليه "معرض الشبيبة" القصد منه عرض مصطنعات الفنانين من الشباب فسنوا بذلك سنة حميدة.

وفـي يـوم 3 ديسـمبر 1933 عقـدت الجلسـة العامـة بحضـور كافـة المشتركين في الجمعيّة الذين يبلغ عددهم 80 شـابا وأسـفرت النتيجـة عن انتخاب الهيئة المسيّرة للشبيبة المدرسيّة:

المجلس الإداري:

1) الصادق المقدم – ليسي كارنو : رئيس
2) محمد بكير – الصادقيّة : كاتب عامّ
3) الطيّب العنّابي – جامع الزيتونة : كاتب عام مساعد
4) محمود بن المفتي – ليسي كارنو : أمين مال

لجنة المسامرات والعمل:

5) عبد الحميد الخميري – مدرسة العطارين : عضو
6) الهادي المستيري – مدرسة العلوية : عضو
7) محمد اللزام – مدرسة الصادقيّة : عضو
8) محمد البحوري – ليسي كارنو : عضو
9) محمد الفاني – مدرسة العلويّة : عضو
10) الرشيد إدريس – مدرسة الصادقيّة : عضو
11) عبد العزيز بن عمران – الصنايع : عضو
12) محمد الزغل – مدرسة العلويّة : عضو

محمد غانم – مدرسة العلويّة : عضو (13

ومما ورد في الكلمة الافتتاحيّة التي ألقاها السيد الصادق المقدم رئيس الشبيبة المدرسيّة في الجلسة العامة ما يلي: « أصبحت جمعيّتنا أمرا مقررا عند جميع النّاس وارتكزت دعائمها على أمتن الأسس وأخذت تتقدم إلى الأمام سائرة في الطريق التي خطها لها مؤسسوها وه هي الين تطوي المرحلة الثانية من حياتها بعد أن جمعت شتات الشباب المدرسي والزيتوني وألّفت بين قلوبهم حتّى صار بعضهم لبعض إخوانا. كانت المهمة صعبة والطريق مهولا لكن عاهدنا ضمائرنا بعد الله أن نسير إلى الأمام نحو غايتنا المقدسة وضالتنا المنشودة ساخرين من كل ما تضعه أيدي العبثين في طريقنا من عقبات وعراقيل وها نحن في منتهى مرحلتنا نستعد لإرجاع الأمانة التي أنيطت بعهدتنا لأربابها على أحسن مما تسلمناها ولنا في ارتياح ضمائرنا أحسن دليل وأجمل حجة على ذلك ولم نتمكن من تذليل القعبات والانتصار على العراقيل إلاّ بفضل ما وجدناه من قوة في اتّحاد الشباب المدرسي وعزيمته المهذبة وبفضل المساعدة التي مدنا بها مواطنونا الأفاضل. فلكل من أعاننا على القيام بمأموريتنا شكرا جميلا وثناء وأخصّ بالشكر والثناء هيئة جمعيّة قدماء الصّادقيّة التي كفلتنا في ظلها الظليل ومدتنا بالإعانة والنصائح الثمينة خصوصا رئيسها المقدار الأستاذ الطاهر صفر الذي كتب على صفحات أفئدتنا أجمل ما يكتب المرء لتخلد ذكراه.

هذا وإني لواثق بأن شباب المعاهد العلميّة التونسيّة سيلتفّ حول راية جمعيّته هذه وليسير بها إلى الأمام صفوفا منظمة بعزم ثابت وحتّى تنبت من تلك النواة الصالحة التي زرعها أسلافهم شجرة يانعة أصلها ثابت وفرعها في السماء، ولا أخال شعبنا الكريم الذي لم يبخل علينا بمعونته إلاّ حارسا لهذه الجمعيّة الفتيّة بعين العطف والعناية».

وقد عملت الشبيبة المدرسيّة على إعداد الشباب المدرسي إعدادا وطنيّا تربويّا ثقافيّا يمكنه من تحمل كل مسؤولية تناط بعهدته، لذلك بادرت المنظمة إلى تكثيف المحاضرات في شتّى المباحث والمواضيع، ففي سنة 1934 ألقيت نيف وعشرون محاضرة الغاية منها تشريك الشباب في إبداء آرائهم حتّى تتحاكك أفكارهم وتنتج ثمرة طيّبة صالحة وقد حرصت المنظمة كل الحرص على تدريب الشباب على إلقاءها فكانت كل المحاضرات التي ألقيت بقاعة الجمعيّة من قبل الشباب ولم يحاضر من الأساتذة تحت إشراف المنظمة إلاّ الأستاذان الشاذلي خير الله والشاذلي الخلادي، فقد قام الأوّل بمحاضرتين والثاني بمحاضرة واحدة ونظرا لضيق قاعة الجمعيّة فقد اكترت الهيئة قاعة الأفراح الكبرى بقصر الجمعيّات الفرنساويّة ويحضر المحاضرة الواحدة حوالي مائتي شخص من مختلف طبقات رجال الأدب بتونس. ومما يلاحظ أن من بينهم عددا غير قليل من فتياتنا المثقفات، كما ألقى الأستاذ (سيرج بريزي) الفيلسوف البلجيكي محاضرة موضوعها (مأمورية المرأة في

المجتمع)، وقد فكرت الهيئة في ابتكار نـوع طريـف مـن أنـواع نشـر الأدب وذلك بإلقاء المحاضرة. في نوادي ضواحي العاصـمة فكـانت محاضرة الشاذلي ثامر عن معروف الرصافي الخطوة الأولـى وقـد ألقيت بنادي العمران.

وقد اقتبل الشـباب المدرسـي السـيد محمـد المـالي رئيـس محكمـة الاستئناف وعضو مجلس جمعيّة قدماء الصّادقيّة. كما سعت الشبيبة المدرسيّة التونسيّة أن تبين للشباب المعجب بالغرب وآدابـه وعـاداته وتقاليده أن النجاح والخلاص لا يكـون إلاّ بـالعودة لتاريـخ الحضـارة العربيّة وآمالها، لذلك ركزت علـى المحاضـرات الاجتماعيّـة وفـي مـا يلي قائمة بعض المحاضرات وأصحابها وتواريخ إلقائها.

التاريخ	اللغة	الموضوع	(المسامر(المحاضر
17/12/1934	عربية	تاريخ سينا الحسيني	العربي الكسوري
24/12/1934	عربية	نحن والعادات	الطيّب العنّابي
31/12/1933	فرنسيّة	الشبيبة في المجتمع الحالي	محمود العقبي
1/1/1934	عربية	معروف الرصافي	الشاذلي ثامر
13/01/1934	عربية	الزواج المشترك	البشير الجعايبي
28/01/1934	عربية	حكمة تعدد الأحكام الشرعيّة إلى 5	البشير بن يوسف
02/02/1934	فرنسيّة	بحث في كتاب اتيان رود	الأستاذ الشاذلي حير الله
11/02/1934	فرنسيّة	البؤس المادي والتسلية الأدبيّة	قصي المكي
18/02/1934	عربيّة	الكشافة	علي الساقصلي

23/02/1934	فرنسيّة	الحضارة العربيّة	الأستاذ الشاذلي الخلادي
09/03/1934	فرنسيّة	نفسيّة اليابان	الأستاذ الشاذلي خير الله
11/03/1934	عربيّة	الجاحظ	رشيد إدريس
18/03/1934	فرنسيّة	الشباب والعمل	بلقاسم عمامو
15/04/1934	عربيّة	الخنساء شاعرة العرب	فريد بورقيبة
22/04/1934	عربية	أحمد شوقي بك	الصادق حمادة
29/04/1934	عربية	المعركة بين الحديث والقديم	رشيد إدريس
06/05/1934	عربية	سيدنا أبو بكر الصديق	مصطفى بن إسماعيل
13/05/1934	فرنسيّة	تونس خلال التاريخ	قصي المكي
20/05/1934	فرنسيّة	موليار الكاتب الفرنسي	مصطفى بن إسماعيل
06/06/1934	فرنسيّة	المرأة في المجتمع الحالي	سيرج بريزي
24/06/1934	عربية	حياة النبي العربي الكريم	الطيّب العنّابي
03/08/1934	فرنسيّة	آراء الكاتب أندري جيد	علي البلهوان
27/08/1934	عربيّة	مكان ابن خلدون في المؤرخين	محمود المسعدي
29/01/1934	عربيّة	التاريخ ونفوذه على النفوس	الرشيد إدريس
01/11/1934	فرنسيّة	بعض الآراء عن مونتسيكيو	مصطفى بن إسماعيل
18/11/1934	عربيّة	المنفلوطي	الطيّب العنّابي

وفي نفس السنة أقامت الشبيبة المدرسيّة حفلة تأبين للشاعر التونسـيّة الكبير أبي القاسم الشابي فنظمت يـوم الأحـد 21 أكتـوبر 1934 لقـاءا أدبيّا كبيرا أشرف عليه الدكتور الصادق المقدم رئيـس الجمعيّـة وتنـاول فيه عدد كبير من الأدباء الكلمة فعددوا منـاقب شـاعرنا الكـبير وفضـله ومزاياه علـى الأدب التونسـي كـان مـن بينهـم السـادة محمـد العربـي ومصطفى خريّـف وحمـود بورقيبـة ومفـدي زكريـاء الشـاعر الجـزائري الكبير.

كما شجبت المنظمة الشباب المدرسـي علـى الإنتـاج الأدبـي مـن خلال النشرات التي كانت تصدر. وهذا الشـاب الرشـيد إدريـس مثلا تنشـر لـه قصيدة بعنوان (تحيّة رغم ما فيها من ضعف فـي الـتركيب يعتـذر عليـه تفاديه خصوصا وهو في عهد القوة:

تحـــــيّة

للشبيـــــــــــــــــــــــبة كيـــــــــف لا أهـــــــــــدي
المدرسيّـــــــــــة التحيّـــــة

وهـــــــــي تسعـــــــــى وهـــــــــي رمـــــــــز
للوئـــــــــام للنهـــــوض

وهـــــي جمـــــــع صـــــار وهـــــــي تدعـــــــــو
جـــــدا للعلـــــــوم

كيـــــــــف لا وهـــــــــي بحـــــــق

ضـــد بعـــض النـــــــاس ثمـــــة

مـــــــن بنـــــــــــــــي عبـــــــاس ثمّ

وهـــــــــي تدعـــــــــو للوفـــــــــاق

وبنـــــــــي حفـــص نـــــرى الأكـــــــــرا

بيـــــــــــن شبـــــــــان « الليـــــسي»

بعـــــــــد أصحـــــــــاب الفتـــــــوح

ثـــــــم اميـــــــــــــــل لويـــــــــــي

أحـــــــــدث الشبـــــــــاب فخـــــــرا

ثـــــــم جـــــــــــــــلاب السعـــــــــــــادة

بالبـــــــــــــــــــــــلاد التونسيّـــــــــــــة

ثـــمّ باقـــــــي القـــــــوم فينـــــــا

بالأناشيـــــــــــــــــــد الزكيّـــــــــة

وهـــــــــي للعـــــــــــــزّ تكـــــــــــــد

بيـــــــــــن أفـــــــــــراد الفتيّـــــــــة

فسألـــــــــوا الشبـــــــــان تـــــــوا

قائـــــــــد الحـــــــــــرب القوميّـــــــة

عـــــن نوايـــــــــا القـــــــوم فينـــــــا

كلنـــــــــا لليـــــــــوم ضـــــــد حـــــــال
البقيـــــــــة الجاهليّـــــــــة

مـــــن بنـــــــــي قـــــوم بلســـــــــــــــــــــان
أميـــــــــــــة الأخويـــــــــــــة

م بعـــــــــــــــــــــــد وشبـــــــــــــــــــــان
الفاطميّـــــــــــــة الصادقيّـــــــــــــة

والديـــــــــــــــــــــار ثـــــــــم أهـــــــــــــل
الأغلبيّـــــــــــــة العلويّـــــــــــــة

فـــــــي الحيـــــــــــــاة جامـــــــع الـــــــــــخضراء
الأدبيّـــــــــــــة العليـة

الـــــــبـــــــست للشـــــعب مـــــــــن ذوي الـــــــــروح
ثويـــــــــــــا السنيـــــــة

رددت قـــــــــــــــــولا فـــــــــي الصبـــــــــــــاح
حكيمـــــــــــا والعشيّـــــــــة

اربـــــــــــط بيـــــــــن يـــــــــا رجـــــــــــــال
الدروبـــــي العبقريّـــــــــة

عنـــــد طيـب الـــــــروض والنتيجـــــــــــــــــــــة
عنّـــــى السمويّـــــــــــة

مـــــن ثيـــــــــــاب
سندسيّـــــــة

إنّنـــــــــــــــي واو
معيـــــة

باجتهـــــــــــــــاد
ورويـــــــــــة

بالمعانـــــــــــــــي
الاصرميّـــــــــة

تلـــــك مـــن ربـــــــي
عطيـــــــة

نحـــــــــن فـــي عـــــــزّ
الشبيبـــــــة

جـــــــاءت اليـــــــــوم
لنرقـــــــى

مـــــن حيـــــــــــــاة
أدبيّـــــــــــة

إيـــــــه شبّـــــــــــان
البـــــــلاد

دافعـــــــوا عـــن عـــــزّ
وجـــــــل

واسمعـــــــــــــــوا
القـــــــــول

لا نهـــــــــــــــوض
اليـــــــوم إلاّ

فاعملـــــــــــوا أبنـــــاء
قومـــي

كـــــــي نـــــــرى نـــــور
الجنـــــــــــــان

بعدمـــــــــا تأتـــــــــي فـــــــي الحيـــــــــــــــاة
المنيّـــــة العالميّـــــــــــة

وحيـــــــــــــــــــــــــاة
معنويّـــــــــــة

يـــا بنـــــــــــي أمـــــــــــي
الأبيـــــــــة

والشريعـــــــــــــــــــــة
الأحمديّـــــــــة

بالحـــــــــــــــــــــــروف
الذهبيّـــــــــــــة

بشبـــــــــــــــــــــــــاب
العربيّـــــــــــة

الآن فـــــــي حســـــــــــــن
الطويّـــــــــة

قصيدة شاب مسرور

وهذا نص القصـيدة الـتي ألقاهـا الشـاب الأديـب الأخ بلحسـن البليـش عندما زارت قافلة الشبيبة مدينة القيروان:

صـــاح قـــم ننشد على وقع الربـــاب مرحبـــــا أهـــــلا بذيـــاك الجنـان

ياندي ـــمي علـى نخـــــــــب الشبـــــاب عجـــلا نحـــتس كأســات الشـــــراب

يا بلاد القيروان اليـــــوم قـــــد صاح غريـــدك وانســـــاب الغـــــــــراب

هنـــئي قطافـــــك اليـــــوم بمـــــــن شرفـــــونا بعـد تطـــــويل غيـــــاب

هنـــــــئي الآثـــــــار والأطـــــــلال وا تـــي النـــــــواد بالهنـــــا في كلّ بـاب

كيـــف لا واليـــــــوم عيـــد النشء ان كـــل مـا يرجـــــوه قـــد وافى وطاب

زفـــــــت البشـــــرى لمشـــــــتاق تبـــــــد ي منـــــــاه العـــــــذب في أبهى ثيـاب

يـا شبـــابا زارنـــــا مرحـــــى علـى الطـا ئـــر الميمـــــون ألقيـــــت الركـــــاب

يا شبـــابـــــا زارنـــا فـي ســـاعـــــــة كانـــت الزرقـــــاء منظـــــار الرقاب

يا شبـــابـــــا زارنـــــا كـــــــان لنـــــا سلسبيـــــتلا مـــــن رحيـــق شهر آب

يا شبـــابا زارنـــــا نلـــــــت المنـــــــى عاجـــــلا يأتيـــــك مـــلآن الوطـاب

يـا شبـــابـــــا زارنـــــا يدعـــــو إلـــــــى غايـــــة التوحيـــــد بوركـــــــت المآب

أصـــدقـــــائي غيـــــر خـــاف أنكـم ساعـــــد الأمـــــــة أن عضـــت بناب

انتـــــــــم الآمـــــــــال مـــــن تباركـــــــم مستـــــــــمد هديـــــــــة أهل الكتـــاب

انتـــــم الـروح وهـــــــم أجسـادهـــــــا وعزيـــــز الـروح لا يخشـــــى التبـاب

انتـــــــم الغـــــيث يرجـــــى وبلـــــــه لظمـــــــا جادنـــــا ذاك السحـــــــــاب

انتـــــــــم لا غيـــركـــــــم كعبتـــــــــــنا مـــن محـــــــيا سعيكـــــــم تعلو الشهـاب

انتـــــــم القـــــــدوة والقـــــــوم علـــــــى مـــا سننتـــــــم أحسنـــوا كشف الحجـاب

أيهـــــا النـــــــش‌ء علـــى رسلكـــــم وقفــة نعقـــــد عهـــــود الانتســـــــاب

دونكـــــم منـــا شبـــــابا طالمـــــــا حـــن للقيـــا وقـــــد طـــال الغيـــاب

دونكـــــــم منهـــــم قلـــوب خفـــــقت نبضـــها ترتيـــل فليحـــى الشبـــاب"

العـــــــلم

المـــرء بالعلـم لا بالمـال والنســـب والعلـــــم بالكـــــد لا باللهـــو واللعـــب

العلـــم زينـــــة دنيانـــــا وزخرفهـــــا وفيـــــه للنـــــاس طـــرا غايـــة الأرب

العلـــم يكسـب مجـــدا ليـس يدركـــة فـي القـوم مـن كـان يدعى صاحب الذهب

ولـــذة العلـــم لا شـــــيء يماثلـــها أشهى إلى النفس من مستعذب الضرب

فمـــل إليه تعـــش في الناس محترما واعمل بحـــزمك تعـــل هامـــة الشهـب

واسلــك سبيلك في التعليـم مجتهـدا لا تشتــكي مـن عنــا فيــه ولا نصـب

وادع إليــه فإن الجهــل اخـــــرنا وســـاد فينـا وذا مـن أعجــب العجــب

الجهــل بيــن الـورى عــار ومنقصـه قــد مسنــا منـه كــل الويــل والعطــب

فابــغ المعالي وكن بالعلــم معتصمـــا فـالمرء يعلــو بمــا قد حـــاز من أدب

ســر للعلـــوم تنـــل مجـــدا ومفخـــرة وابلـغ بعـــزم وحـزم شامــخ الرتب

وانظــر لنهضــة شبــاب قــد انتبهــوا وفكــروا فـي انتشـار العلــم والكتـب

وأسســوا بيننـــا جمعيّــة نهضـــت وأخرجت نشــأة من أنجب النجـب

واتعب لكي تستــرح واصبر على علــل وابـذل لنيـل العــلا مـا شئت من نشب

شبيــبة) القطــر كونــي خيــر ناصــرة لأمـة قـد غـــدت(مـرمى إلى النوب

وايقضـــي لنـــوال العلـــم نشـــأتنـــــا واستنهضي عزمهـا بالشعر والخطب

فأنـــــــت مدرســـــة بالشـعـــــب ناهضـــــة للعلـــــم ناشـــــرة بالجـــــد والدرب

أنشأت في الشعـــب نحـــو العلـم عاطفـة وكنـت خيـــر أب يسعـى إلى الطلب

عمـــمـــت علمـــا وراء بمجتمـــــــــع أحييـت مجـــدا لـه في سالف الحقـــب

نشـــرت ما قد طـــواه الدهـــر من صحـف بيضاء ناصعة مـن نهضة العـــرب

مـــن أدركـــوا قيمـــة للعـلـــم فاجـــتهـــدوا وأحرزوا سـؤددا يغني عن النسـب

قضـوا حيـــاة وبـــث العـلـم رائـــدهـــم وخلـدوا الـذكر في الأسفار والكتب

فالواجـــب اليـــوم يقضـــي بأتباعهـــــم في العلم والمجـــد والأخلاق والرتب

حتـــام نبقـــى ونـــار الجهـــل تتلفنـــــا نستضعف الأمر بين الخوف والرهب

يا قــوم كونــوا جميعــا وأنقــذوا وطننــا واسعــوا لإعلائــه بالجـــد والـــدأب

ضمــوا النفــيس لنشـــر العلـــم واتحـــدوا ولا تبالـــوا بمـــا تلقـــون من تعـــب

دعـــوا النـــوى وأعيـــدوا مجـــد أمتكـــم وسـابقوا فـي اكتســاب المجـد كل أبي

وليس يجـــدي افتخـــار بالذيـــن قضـــوا وإنمـــا قيمـــة الإنســان بالكســب

إنّي إلى العلـــم أدعـــوا القـــوم أجمعهـــم بالعلـــم بيـن البرايـــا خيـــر مطلـب

التيجاني

الشاهد

كما اتجهت عناية الشبيبة المدرسيّة إلى تكوين مكتبة لهـا وعهـدت غلـى السـيد الخميـري مسـؤولية السـهر عليهـا وحفظهـا وكـانت تشـتمل عنـد انطلاقها على حوالي 180 كتابا.

المعارض المدرسيّة:

أقامت المنظمـة المعـرض الثـاني للشـبيبة المدرسـيّة سـنة 1934 وقـد شارك فيه نحـو العشـرين فنانـا مـن الشـباب المدرسـي النشـيط، وقـد احتوى هذا المعرض على 220 لوحة فنيّة وبضعة تماثيـل مـن الجبـس وقد حرص التونسيون علـى شـراء كـثير مـن اللواحـات الفنيّـة تشـجيعا

منهم لهؤلاء الشباب كان في مقدمتهم الأستاذ الطاهر صفر المحامي والحكيم أحمد بن ميلاد والتاجر المعروف عبد العزيز سلامة ودام العرض شهرا كاملا.

الرحلات:

أما الرحلات التي تروح عن الشباب وتعرفهم ببلادهم وتدعم صلة التعارف والتحابب بينهم تمت على النسق التالي:

- رحلة إلى الحمامات وقربص في عطلة عيد الفطر سنة 1934 بقيادة محمد بكير
- رحلة إلى السّاحل بقيادة الطيّب العنابي بناسبة عيد الأضحى انطلقت من توس يوم الثلاثاء 27 مارس 1934 وقد شملت القيروان والمهديّة وقصور الساف والجم، وقد رافق الشبان في هذه الرحلة الأستاذ المؤرخ حسن حسني عبد الوهاب والأستاذ المحامي الطيّب الغشّام.
- أمّا الرحلة الثالثة فكانت إلى باجة مرورا بمجاز الباب وتستور بقيادة فريد بورقيبة.
- وكانت الرحلة الترفيهيّة والاستطلاعيّة الرابعة إلى مصطاف حمام الأنف في جوان 1934 بقيادة الرشيد إدريس

اقتبالات الشبيبة المدرسيّة:

سعيا وراء التعريف بأنشطة الشباب المدرسي خارج الوطن وداخله استقبلت الشبيبة المدرسيّة في شهر ديسمبر 1933 العالم والكاتب

الفرنسي الذائع الصيت (م. ليك ديرتان) وبصحبته حرمه ومعها مضيفتها مدام فيشي رئيسة جمعيّة الاتحاد النسائي للسلم والحرية المعروفة في الأوساط التونسيّة وزوجها م. فيشي وأقامت لهم الشبيبة حفلة شاي لطيفة خطب على إثرها م . ليك ديرتان عن دور الشبيبة في المجتمع. وقد أجابه رئيس الشبيبة المدرسيّة بخطاب لطيف وقد أبدى السيد ديرتان إعجابه بمجهودات الشبيبة المدرسيّة النشيطة وتمنّى لها مستقبلا زاهرا إذا سارت على المنهج الحميد الذي ضبطته لنفسها وختمت الحفلة بقطع فنيّة أدّاها الشبّان وبقط موسيقيّة عزفها الفنّان الكبير أستاذ الشبيبة السيد غانم على آلة الرباب.

كما استقبلت الشبيبة أعضاء طلبة شمال إفريقيا المسلمين بفرنسا على إثر انعقاد المؤتمر بتونس فأقامت الجمعيّة للضيوف حفلة شاي أيضا وبعد التسامر تبودلت الكلمات والقصائد من طرف السادة الصادق المقدم والدكتور أحمد بن ميلاد والشيخ السعيد الزاهري من الجزائر والرشيد إدريس ومفدي زكرياء (الجزائر) والطيب العنّابي.

تطوّر ونمو حركة الشبيبة المدرسيّة

وتسلم رئاسة الشبيبة المدرسيّة بعد السيد الصادق المقدم السيد عبد المجيد الشابي ثمّ تلاه السيد محمد بن عبا من 1936 إلى 1939 تقريبا وقد ظلت الشبيبة المدرسيّة تتبع جمعيّة قدماء الصادقيّة غير أنّ نشاطها الوطني السياسي لم يرض بعض قادة

قدماء الصّادقيّة فتبرأت منها سنة 1938 وكان للشبيبة المدرسيّة نشاط لا بد من القيام به فالتجأت إلى الرابطة الأدبيّة المتكونة من الشباب المدرسي الطموح وأصبحت تعرف بالشبيبة المدرسيّة فوج الرابطة الأدبيّة(انظر الاعلام عن محاضرة علي البهوان) والرابطة الأدبية هي جمعيّة أدبيّة أسسها الشاب مصطفى مهذب رجب في أوائل 1936 بمعية السيد نور الدين بن محمود (مدير جريدة الأسبوع ومجلة الثريا) ورشيد إدريس والحبيب الشطي والشاعر محمد المرزوقين وقد كانت لهذه الرابطة فروع داخل البلاد. ففي صفاقس فرع يعرف بجامعة اللخمي يرأسه بوبكر الرقيق ثمّ حسن بوغريو، وفي حمام الأنف فرع يرأسه مصطفى الشنوفي بمعية محمد الشريف وعز الدين بالحاج، وفي قفصة فرع يعرف بشباب ابن رشد. ولئن احتضنت الرابطة الأدبية الشبيبة المدرسيّة فإنها احتضنت كذلك الفرع المسرحي التابع لها والذي كان يرأسه محمود شرشور ويضمّ في عضويته فتحي الزليطي وعمر المسعي والعروسي يعقوب. ويذكر السيد مصطفى الجد أن أول نشاط للشبيبة فرع الرابطة الأدبية بصفاقس هو دعوة الأستاذ علي البلهوان ليحاضر الشباب عن نصيب الشبيبة من الكفاح صبيحة يوم السبت 12 مارس 1938 الموفق ليوم عاشوراء وكان من التراتيب المعمول بها إعلام السلطة بتاريخ المحاضرة ومكانها وأهم المحاور فيها وأن يكون الإعلام ممضي من قبل مسؤولين عن هيئة الجمعيّة فقدمت الإعلام للشرطة ممضي من طرفه كرئيس للجمعيّة ومن

طرف السيد الحبيب الشطي كعضو للجمعيّـة، وفـي سـاعة متـأخرة من ليلة المحاضرة اتصلت بقرار من الكاتب العام للحكومة التونسـيّة يمنع فيه إتمام محاضرة الأستاذ علي البلهوان وكشفت جريدة الوزير في عددها الصـادر فـي 17 مـارس 1938 عـن محتـوى قـرار منـع المحاضرة هذا نصه:

« بهد الاطلاع على الأمر العلي المؤرخ في 6 أوت 1936 في شـأن الاجتماعـات العامـة وبعـد الاطلاع علـى الفصـل 9 مـن هـذا الامـر بالخصوص وبعد الاطلاع على المطلب المقدم من طـرف السـيدين مصطفى الجد والحبيب الشطي وبعد الاحتجـاج المقـدم مـن طـرق السيد ط .ق.

قرر:

الفصل الأول: منع المحاضرة العامة المعيـن إقامتهـا بقاعـة السـنما (فاريتي) (Variété) التاسعة صباحا من يوم 12 مارس 1938.

الفصل الثاني: مدير المحافظة مكلف بتنفيذ هذا القرار. تـونس فـي 11 مارس 1938 ».

عن الكاتب العام

للحكومة التونسيّة

الإمضاء

رئيس

ديوانها

وقد أصدرت الجريدة المذكورة هذا في مقال طويل بعنوان: « حول منع محاضرة الأستاذ علي البلهوان».

وتمّ هذا الاجتماع فعلا لا في قاعة (فاريتي) كما كان مقررا من قبل بل في نادي الحزب بصفاقس وحضره حوالي ألفي تالميذ، وبعد محاضرة الأستاذ علي البلهوان رفع احتجاج شديد إلى كل من جناب الوزير الأكبر والكاتب العامّ للحكومة والمقيم العام. وهذا نص الاحتجاج:

« إنّ الشبيبة المدرسيّة المتمثلة في عدد كبير والمشتملة على تلامذة المعاهد العليا بالعمالة وكذلك على فريق كبير من مختلف الطبقات بعد الاطلاع على القرار الذي اتخذه الكاتب العامّ للحكومة في منع محاضرة الأستاذ علي البلهوان بـ (فاريتي) تحتج احتجاجا صارما:

أولا: ضد هذه الوسيلة الجائرة التي لا تفت في ساعد الشباب بل من شأنها أن تقوي فيه روابط التضامن الفعلي والإيمان بحقه وقوته.

ثانيّا : ضد هذه الحكومة التي تعتمد على سعي بعضهم الذي حاول بوشايته من غير جدوى أن يفرق الشباب وأن يضرّ بحركاته ولا صفة له من حيث القانون تخول له ذلك وهي تحقق الحكومة أن ليس هناك مانع يصدها في طريقها إلى الأمام ثمّ أنّها تضع ثقتها في

الشبان مصطفى الجد – الرشيد إدريس – خميس الشامخ – عزوز الرباعي – محمد بن عبا لتقديم هذا إلى الحكومة».

وفعلا تمّ تقديم الاحتجاج. ومن ثمة دخلت الشبيبة المدرسيّة مرحلة الكفاح والنضال الفعلي في صلب الحزب الحر الدستوري إذ وجدت فيه خير معبر عن آمالها وفي مؤسسه الزعيم الحبيب بورقيبة خير قائد وطني قادر على تحريك الهمم وجمع شتات الشعب التونسي كما وجد الاتحاد العام لطلبة تونس سنة 52 و53 في صلب الشبيبة المدرسيّة الأعضاء والقادة الأكفاء الذين ساروا به سيرا حثيثا في نضاله التحريري وعندما دخلت الشبيبة المدرسيّة في صلبه واستوعبها وبقي يرعاها إلى سنة 1961 تاريخ انفصالها عنه لتصبح هيكلا من هياكل اتحاد الشباب التونسي، وصارت لها أهداف هي بالطبع دون أهداف الأمس وذلك بفضل التطور الذي طرأ على حياة البلاد. فأخذت تدعم كيانها داخل المعاهد الثانويّة وتعمل على تكوين الشباب المدرسي تكوينا وطنيّا صحيحا لتجعل منه عضوا حيّا شاعرا بمسؤولياته التاريخيّة عاملا على صيانة مكاسب وطنه مجتهدا في الحفاظ على عزة وكرامة بلاده.

ولا يفوتنا قبل الانتهاء من الحديث عن الشبيبة المدرسيّة أن نشير إلى أن الشباب المدرسي لم يتخلف عن الإسهام بقسط مرموق في الملاحم النضاليّةالتي عاشتها تونس فكانت له مشاركات وتضحيات بطوليّة تواصلت من مقاومة المؤتمر الأفخاريستي إلى معارك 9 أفريل 1938 إلى معركة التحرير الوطني (1952 – 1954) إلى

معركة بنزرت الحاسـمة. وسـف يسـجل التاريـخ التونسـي المعاصـر هذه المواقف التي ساهم بها الشباب المدرسي فـي تحريـر تـونس وبناء مستقبلها الزاهر.

نشيد الشبيبة المدرسيّة

هذا قصيد من روائع أمير الشعراء محمد الشاذلي خزندار ألقاه فـي الشبيبة المدرسيّة غذاة بعثها بتونس ضمن أنشطة الشباب التونسـي وقد أمدنا بنسخة مصورة منها مستخرجة من ديـوان شـاعرنا الكـبير نجله صديقنا العزيز السيد المنجي خزندار.

نورد في باب حديثنا عن الشبيبة المدرسيّة أبياتا من هذا القصيد.

يقول أمير الشعراء فما يقول عن الشبيبة المدرسيّة:

نحن أحرار الشبيبة في البلاد التونسيّة

نحن للحزب كتيبة من بينكم مدرسيّة

نرتقي بالعلم وحسا نرتقي فكرا ونفسا

نزدهي بالعلم غرسا في الرياض الوطنيّة

نأخذ الإحساس درسا والخلال العربيّة

ننشر الأخلاق فينا نستقي عقلا ودينا

ولها نبدي الحنين آمنا الخضراء البهيّة

يبلغ العليا يقينا كل ذي النفس أبية

نتبع الأجداد صنعا نقتفي الآباء شرعا

نرتقي أصلا وفرعا في المقامات العلية

ليس نرضى الذل طبعا نحن أرباب الحمية

كمم لأهلينا أيادي رغم إنكار الأعادي

طارق وابن زياد والكثيرون البقية

والعبيدي والمرادي والولاة الفاطميّة

وابن خلدون الشهير وابن دينار الكبير

وابن شبّاط الخطير قاسم الماء سوية

وأبو الخير الوزير يوسف بادي المزية

إلى أن يقول:

أنجب الدستور أنجب نخبة تزكو وتعجب

لم تزل كالنار تلهب في المجاري سرمديّة

تزدهي دوما وتطرب للحماسات القوية

من النشاط الوطني للشباب المدرسي

روى لنا المناضل الأخ الهادي الورتاني مؤسس حركة كشاف الخضراء وأحد رواد الحركة الوطنيّة الحادثة التالية التي تدل على ارتباط الشباب المدرسي وتلاحمه مع الحركة الوطنيّة أيام الاستعمار.

فقد ذكر أنه بعيد إبعاد الزعماء إلى الجنوب التونسي يوم 3 سـبتمبر 1934 ظهرت حركة سرية شـبابيّة للمقاومـة تزعمهـا السـيد البـاهي الأدغم وبعض من رفاقه.

وقد اتصل المناضل الباهي الأدغم بجمع من المدرسيين ينتمون إلى المدرسـة العلويّـة وإلـى بعـض المعاهـد الثانويّـة الأخـرى،وكانوا يجتمعون للمراجعة بمحل السـيد محمـد الورتـاني بنهـج تربـة البـاي عدد 50 بتونس ثمّ بمحـل ثـان قـرب جـامع العمـران وحثّهـم علـى التحرك للمقاومة بعد إبعاد قادة الحركة الوطنيّـة إلـى الجنـوب مـادّا إيّاهم بطريقة العمل وبنصين منشورين بخط اليد وزعـا خلسـة فـي المعاهد والأحياء. يقول المنشور الأول:

أيها التونسيون المسلمون،

إنّكم منذ مدة محرومون من حركة وطنيّة لقـد أغرقـوكم فـي النـوم عنـدما زعمـوا أن المقيـم العـام (مرسـال بـايروتون) سـيمنحكم حقوقكم.

فأين هذه الوعود الخلابة؟...

كافحوا من أجل حريتكـم وتممـوا العمـل الـذي لـم يكملـه قـادتكم المبعدون إلى الجنوب.

أما المنشور الثاني فيقول:

نحن أبناء الحرية،

إننا لا نخشى فرنسا وبكل فخر نرفع رؤوسنا ونرفض كل حماية.

Nous sommes les enfants de la liberté

De la France, nous n'avons point peur

Nous levons la tête avec fierté

Nous ne voulons plus du protecteur.